7/7-وعنْ أبي هريرةَ عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ[1] -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أجْسَامِكُمْ، ولا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكن يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأعمالكم» رواه مسلم.

معاني الكلمات...

- لا ينظُر اللهُ إليهم: النظر صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسُنّة[2].

المعنى الإجمالي...

يُخبرنا النبيُ-صلى الله عليه وسلم-عن قاعدة من قواعد الإسلام الكُلية[3] التي اجتمع عليها الناسُ بعد أن مزقتهم نعراتُ الجاهلية والفخرُ بـ **(الأموال والأنساب)** وتُبين لنا هذه القاعدة المعايير الحقيقية التي يرفعُ اللهُ -تعالى- بها الناس وعلى ضوئها يكونُ القربُ والبعدُ منه -سبحانه وبحمده- والثوابُ والعقاب، فيقولُ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أجْسَامِكُمْ) من حيثُ القوة والضعف (ولا إِلى صُوَرِكمْ) من حيثُ الحُسنُ والقُبح، وجاء في بعض الروايات (وَأَمْوَالِكُمْ) أي من حيثُ القلة والكثرة، فلا اعتبار لذلك كله إنّما المُعوّل على صلاح القلب بـ (**نيَّته وقصده ويقينه وصدقه)** وما يترتب على ذلك من صلاح الأعمال (**بالصحةِ أو الفساد)**.

مُناسبة الحديث...

حيثُ دلّ على أنّ الإثابة على الأعمال تكونُ بما انعقد عليه القلب من الإخلاص وصدق النية.

الفوائد...

1- الدليل على النوع الثالث من أنواع التوحيد (توحيد الأسماء والصفات)[4].

2- إثبات صفة العين وهي صفة ذات لربنا سبحانه وبحمده[5]، وإثبات صفة النظر وهي صفة فعل لله عزّ وجل.

3- هدم الإسلام للعصبيات الجاهلية (الفخر بالأموال والأنساب والطُغيان بقوةِ الأبدان)[6]وتحقيق قول الله تعالى**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.**

4- أنَّ عملَ القلب هو المصحح للأعمال الشرعية[7]، فوجبَ الاعتناء بحال القلب وتصحيح مقاصد وتطهيره عن كل وصف مذموم **(وكمال ذلك بمراقبة الله سبحانه وتعالى).**

5- كما أنّ القلب هو المُصحح للأعمال **(فلا يُتصور كذلك صلاح القلوب من دون الأعمال الشرعية).**

---

[1] هو الصحابي المحبوب أبو هريرة واسمه على الصحيح (عبد الرحمن بن صخر) وسبب تكنيته بذلك ما رواه الترمذي - بسند حسنٍ - عن عبدالله بن رافع قال: قلتُ لأبي هريرة: (لِمَ كُنِّيتَ أبا هريرة؟ قال: كنتُ أَرعى غَنَمَ أهلي، فكانت لي هريرة صغيرةٌ، فكنتُ أَضعُها بالليل في شجرةٍ فإذا كان النهارُ ذهبتُ بها معي، فلَعِبتُ بها فكنَّونِي أبا هريرة) أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله، ثم لازمه الملازمة التامة رغبة في العلم راضياً بشبع بطنه، وكان يدور معه حيثما دار، ومن ثم كان أحفظ الصحابة ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، وقد شهد له أنه حريص على العلم والحديث، لازم سُكنى المدينة وتُوفيَّ بها سنة 57هـ ودُفن بالبقيع عن 78 سنة، وهو أكثر الصحابة روايةً لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له في كتب الحديث 5374 حديثا، اتفقا الشيخان على رواية 300 حديث وانفرد البخاري برواية 73 حديث.

[2] صفة النظر لربنا سبحانه وبحمده صفة فعلية ثابتة لربنا سبحانه وبحمده بالكتاب والسُنّة، فالدليلُ من الكتاب قوله تعالى: {وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 77] والدليلُ من السُنّة الحديث الذي معنا وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً) متفقٌ عليه، وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ).
قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: (النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عُدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار: انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ [الحديد: 13]، وإن عُدِي بـ (في) فمعناه: التفكر والاعتبار؛ كقوله: {أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الأعراف:185]، وإنْ عُدِي بـ (إلى) فمعناه: المُعاينة بالأبصار؛ كقوله تعالى: انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ [الأنعام: 99]) اهـ شرح العقيدة الطحاوية (154).
وأنت ترى أنَّ النظر فيما سبق من أدلة متعدٍّ بـ (إلى) فأهل السنة والجماعة يقولون: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يرى ويبصر وينظر إلى ما يشاء بعينه سبحانه وتعالى كما يليق بشأنه العظيم {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.
وقال الإمام ابن منده في كتابه التوحيد: [ذكر ما امتدح اللهُ عز وجل من الرؤية والنظر إلى خلقه ودعا عباده إلى مدحه بذلك] اهـ كتاب التوحيد لابن منده ص (279).

[3] هذه القاعدة هي القاعدة الأولى من القواعد الكُليّة التي اتفق عليها أغلب أهل العلم وهي (الأمور بمقاصدها) أي أن الحكم الذي يترتب على فعل المكلف يُنظر فيه إلى مقصده فعلى حسبه يترتب الحكم (تملكا وعدمه، ثوابا وعدمه، عقابا وعدمه، مؤاخذة وعدمها، ضمانا وعدمه) فمثلاً من قتل غيره عمدا بلا مسوغ مشروع فلفعله حكم، وإن كان خطئا فله حكم آخر، ومن قال لآخر: خذ هذه الدراهم، فإن نوى التبرع بها كان هبة، وإلا كان قرضًا واجب الإعادة.

[4] توحيد الأسماء والصفات هو: [الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصف به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت بلا كيف، كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكييف عنها في كتابه في غير موضع كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11].

[5] العين: [صفةٌ ذاتيةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسنة، وأهل السنة والجماعة يعتقدون أنَّ الله يبصر بعين، كما يعتقدون أن الله عزَّ وجلَّ له عينان تليقان به {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}، الدليل من الكتاب قوله تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود: 37]، وقوله: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه:39]، وقوله: {وَاصْبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور: 48]، والأدلة من السُنّة حديث أنس عند البُخاري أنّ رسول الله قال: (إنَّ الله لا يخفى عليكم إنَّ الله ليس بأعور (وأشار إلى عينيه)، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية) قال الشيخ عبد الله الغنيمان: [قوله: ((إن الله ليس بأعور)): هذه الجملة هي المقصودة من الحديث في هذا الباب؛ فهذا يدل على أن لله عينين حقيقة؛ لأن العور فقدُ أحد العينين أو ذهاب نورها] اهـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البُخاري (285/1).

[6] وهذه المزاعم التي دفعها القرآن في آياته كقوله تعالى: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} سبأ (35:37).

[7] فالحكم يترتب على حسب النية وعلى حسب فعل المُكلف، وهذا يبين عظم أمر النية في الشريعة، حتى إن بعض أهل العلم جعل هذه قاعدة (الأمور بمقاصده) داخلةٌ في جميع أبواب الفقه، وقال كثير من أهل العلم: إن النية هي محط نظر الله -عز وجل- الله -سبحانه وتعالى- لا ينظر إلى صور الأعمال؛ ولهذا في الحديث الصحيح في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) فهي محط النظر لأن عليها المدار في كل شيء فكان أمرها مهمًا، وهذا مما أيضًا يتعلق بها في باب التكليف أن التكليف فيها بحسب القصد وعليه يترتب فعل المكلف، ففعل المكلف مترتب على نيته.

6- قد تصلح أعمال الإنسان وتفسُد نيَّتهُ **(ومع ذلك فيُعامل بظاهر أعماله وتترك سريرته لله تعالى)**[8].

[8] قال الإمام ابن علان الشافعي رحمه الله تعالى: [وحيث كان عمل القلب مُتضمناً للعمل الظاهر وعمل القلب غيب عنا فلا يقطع لذي عمل صالح بالخير فلعل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مذموماً لا يصح معه ذلك العمل، ولا لذي معصية بالشرّ فلعله سبحانه يعلم من قلبه وصفاً محموداً يغفر له بسببه (والأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية) ويترتب على ذلك عدم الغلوّ في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة (بل تحتقر تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات المسيئة) فتدبر هذا فإنه نظرٌ دقيقٌ، لُخِص من المُفهِم للقرطبي)] اهـ دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين (73/1).